

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف اضطرابات الإرادة (13)

المزيد عن علاقة الإرادة بالتطور (1)

إرادة البشر في مقابل إرادة الحياة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD29315.pdf>

بروفيسور يعقوب الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/03/29  
السنة الثامنة - العدد: 2766



المفروض أننا وصلنا إلى تعدادا اضطرابات الإرادة كما تظهر في الأعراض المرضية، وأن هذا - كما تعودنا- هو ما نختم به التعرض لكل وظيفة نفسية أساسية في هذا العمل، لكن بما أننا عرّجنا إلى طبيعة الإرادة وتعددتها على مستويات مختلفة، ونظرا لأن هذا العمل قد أصبح من قواعد استكماله أن نوفي كل وظيفة حقها في السواء والمرض، وأن يشمل ذلك طرح ما هو معروف من أعراض الإعاقة حتى لو لم تُسمَّ مرضا، رأيت أن افصل أكثر ما وجدته بالمسودة الأولى منذ ثلاثين عاما، بإضافة ما جدّ لي - في سعيي وكشفي وموقفي - من جديد، فيما يتعلق بهذه الوظيفة الصعبة، التي يزيد من صعوبة تناولها، علاقتها بالوعي والحرية.

**وفيما يلي بعض عناوين ما سوف نطرحه تباعا:**

**أولا: إرادة البشر في مقابل إرادة الحياة**

**ثانيا: الإرادة والنمو الشخصي (مع إشارة إلى "اضطراب الشخصية")**

**ثالثا: دورات الإرادة والحرية وعلاقتها بالإيقاع الحيوي (I1)**

**أولا: إرادة البشر في مقابل إرادة الحياة**

يبدو العنوان غريبا، مع أنه حل لي إشكالا مهما، ذلك أنني أستلهم محاولة تعرفي على الطبيعة البشرية من مسيرة الحياة التي أتعرف عليها من برامج التطور التي وضعها خالق الحياة سبحانه وتعالى، لكل الأحياء، وغير الأحياء، وذلك باعتبار أن من نجح من الأحياء في استيعابها والتعامل بها مع المحيط، ومع سائر أفراد نوعه، والأنواع الأخرى، هو الذي اجتاز اختبار البقاء ليستمر حتى الآن، أما من حاد عنها، جهلا أو سوء تكيف، فقد انقرض، يسرى هذا على الإنسان كما يسرى على سائر الأحياء.

ثم إنني أمارس مهنتي من هذا المنطلق باعتبارها من المهن المكلفة بالإسهام في تصحيح مسار انحراف الطبيعة بعد صفاتها (I2)، بأن تسهم في العودة بمن انحرف عن هذه المسيرة إلى ما خلقه الله عليه، وهذا لا يتأتى إلا بأن نتعرف على ذلك طولا وعرضا.

منذ تصدى الإنسان لحمل الأمانة، دخل امتحان المشاركة في استعمال إرادته في صياغة مساره، فمصيره، باتخاذ قرارات جسيمة لنفسه ولنوعه على مسار الحياة، قرارات قد تتفق أو لا تتفق بالضرورة مع برامج التطور، وقد تأكد لي أن سلامة إتقان اتباع هذه البرامج هو ما يحقق غاية ما أسميته "إرادة الحياة" بفضل الله، وقد نبّه "دانيال دينيت" في كتابه "أنواع العقول" إلى أن الإنسان قد تمادى ليس فقط في الفصل بين إرادة الحياة وإرادته الشخصية، وإنما أيضا في الحكم على أسلافه من الأحياء بأنهم بلا عقول، وتبعاً لرأى "دينيت"، فإن هذا الموقف الاستعلائي من البشر، وهو ما نقده نقدا شديداً، قد بيّن - ضمن شواهد أخرى- مدى ما وصل إليه الإنسان من إهمال أو تهميش لإرادة الحياة

أننى أستلهم محاولة تعرفي على الطبيعة البشرية من مسيرة الحياة التي أتعرف عليها من برامج التطور التي وضعها خالق الحياة سبحانه وتعالى، لكل الأحياء، وغير الأحياء

منذ تصدى الإنسان لحمل الأمانة، دخل امتحان المشاركة في استعمال إرادته في صياغة مساره، فمصيره، باتخاذ قرارات جسيمة لنفسه ولنوعه على مسار الحياة

تأكد لي أن سلامة إتقان اتباع هذه البرامج (برامج التطور) هو ما يحقق غاية ما أسميته "إرادة الحياة" بفضل الله

مقابل النفخ فيما يسمى إرادة الإنسان دون أن يتحمل مسئولية ذلك بما يضمن انتصاره في المسيرة بالتقدم إلى ما يعد به تاريخه.

لا أريد أن أعيد ما سبق ذكره من آراء دينيت فقد سبق أن أشرت إليه بقدر مناسب في نشراتنا هنا [3]، وقد قدمت لكتابه هذا نقدا مطولا في ندوة علمية من ندوات جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى، وسوف أكتفى هنا بتقديم موجز محدود لبعض الشرائح التى أنهيت بها الندوة [4] مع ما استجد من هوامش وخاصة فيما يتعلق بالإرادة:

2.1

**الفرض**  
• كما استوحيته من الكتاب:

❖ العقل هو ما يميز الإنسان بما هو إنسان:  
بعد أن اكتسب ما يسمى الوعى والإرادة والاهتمام والقدرة على التأجيل أو التعجيل:  
- مشاركا بذلك فى "قرار التطور" - الفردى فالنوعى  
- وأيضا مشاركا فى احتمال تقراض هذا الجنس المتورط

(1) تحفظت فى الندوة على استعمال المؤلف الرحب للفظ "العقل" مرادفا للوعى فى كثير من الأحيان.  
(2) مشاركة الإنسان فى "قرار التطور" برغم أنها مشاركة واعية إلى أن الجارى عبر العالم، وخاصة مؤخرا أو تحديدا فى ما يخص العلاقات بين أفراد نفس النوع (البشر) يضع علامات استفهام خطيرة حول إيجابية مشاركته هذه، وقد زادت الخطورة، بعد أن أملاك أدوات تقنية عملاقة، وأيضا وسائل إهلاك ساحقة، فأصبحت مشاركته تهديدا حقيقيا للنوع كله إن لم يتحمل كل فرد من النوع بلا استثناء مسئولية هذه المشاركة فى مجال لا يعرف من قوانينه وبرامجه إلا أقلها.

3

• مقتطف من آخر فصل:  
• العقل البشرى هو نتاج لـ:  
(1) الانتقاء الطبيعى  
(2) إعادة تصميمه ثقافيا

(3) برغم اتفاقى مع دينيت فى أن العقل البشرى هو نتاج الانتقاء الطبيعى بالإضافة إلى إعادة تصميمه ثقافيا إلا أننى عجبت لتركيزه على استعمال لفظ "العقل" بما يوحي بأنه يشير إلى أرقى ما وصل إليه الإنسان من قدرة على التفكير والإبداع وتطويع الطبيعة لأغراض حياته دون الالتفات بالقدر الكافى إلى بقية "عقله" إلا من منطلق تاريخى، فهذه العقول الأخرى للأحياء الأدنى مازالت ماثلة فىنا، ليست كأثر تشريحي خامل، وإنما ككيانات فاعلة متبادلة ومتكافئة (فى حالة السواء) مع بعضها البعض، وهى مازالت قائمة جاهزة للتنشيط، بل هى تتشَطُّ دوريا بانتظام من خلال الإيقاع الحيوى طول الوقت.

4

• العقل والتفكير والوعى

- السلوك الذكى والنجاح والهادف قد لا يمكن تسميته تفكيرا
- السلوك المبرمج بالتعلم حتى يصبح شرطيا (ليس تفكيرا)
- التفكير هو ما تبقى من العمليات لأطول زمن حتى تكسب نفوذا ببقائها، بأنها أفكارٌ وعينا
- تصبح محتويات العقل وعيا حين تكسب تنافسا ضد محتويات وعى أخرى من أجل السيادة على التحكم فى السلوك للوصول إلى تأثيرات تبقى !!

أن الإنسان قد  
تمادى ليس فقط فى  
الفصل بين إرادة  
الحياة وإرادته  
الشخصية، وإنما أيضا  
فى الحكم على  
أسلافه من الأحياء  
بأنهم بلا عقول  
"دانيال دينيت"

مشاركة الإنسان فى "قرار  
التطور" برغم أنها مشاركة  
واعية إلى أن الجارى عبر  
العالم، وخاصة مؤخرا أو  
تحديدا فى ما يخص العلاقات  
بين أفراد نفس النوع  
(البشر) يضع علامات استفهام  
خطيرة حول إيجابية مشاركته  
هذه

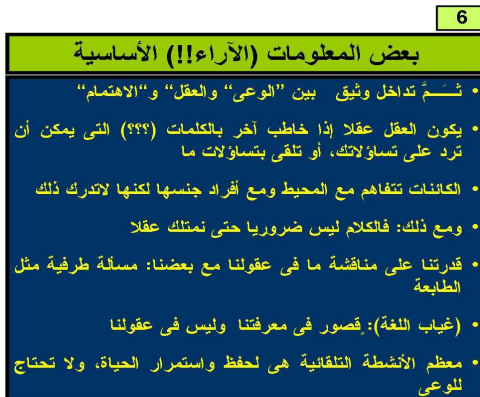
هذه العقول الأخرى  
للأحياء الأدنى  
مازالت ماثلة فىنا،  
ليست كأثر تشريحي  
خامل، وإنما  
ككيانات فاعلة  
متبادلة ومتكافئة  
(فى حالة السواء) مع  
بعضها البعض، وهى  
مازالت قائمة جاهزة  
للتنشيط، بل هى

(4) قَدَرْتِ تراجع "دينيت" عن الاحتفاء بالتفكير كما وصلنى فى البداية، أو لعلى انتبهت لما لم أكن منتبها له، وقد وجدت اعتباره لقنوت معرفية أخرى أمر طيب، والأطيب منه ملاح من إشارته للتنافس بين مستويات وعى أخرى من أجل السيادة على التحكم للوصول إلى تأثيرات أبقي، وهذا هو ما يهمنى هنا على مستوى "الإرادة والاختيار" [15].



(5) بعد غوصى فى محيط الإدراك مؤخرا، رجعت إلى دينيت أتعجب كيف لم يشر إلى الإدراك كقناة معرفية وجدانية معا: أرحب وأقدر وأقدم وأشمل حتى خطر لى أنها تستحق لقب العقل أكثر من التفكير.

ثم إنى اختلفت معه - لعله اختلف لغوى أكثر منه اختلافا فكريا - فى التعامل مع مرحلة ما اسمها "عقول لا ترتقى إلى مرتبة عقول" والأهم مرحلة اللاعقول، حيث توقعت منه وهو الفيلسوف التطورى (البيولوجى) الرائع أن يدخل إلى المادة فيرى فيها ما يسمح له (ولنا) أن يدرجها ضمن ما سمح به كرمه، ولعل اختلافى الشكلى معه يرجع إلى ما وصلنى من ثقافتى وكدى مع مولانا النفري ومرضى، ومن رحلة نقدى لأعمال إبداعية لها ارتباط وثيق بتقافتنا التى تسمح بامتداد مفهومى النبضى والهارمونى إلى ما ليس له عقل، وأيضا مما لاح لى من ثراء الإدراك المتجاوز الذى تسمح لنا ثقافتنا أن نواصل به رحلات تعارفنا كدحا إلى الغيب وما بعده، ومن بعده.



(6) بالنسبة لهذه المعلومات الأساسية فى هذه الشريحة بالذات فأنا متفق معها كلها تقريبا مع أننى افتقدت شرحا كافيا لهذا التداخل بين الوعى و"الاهتمام"، وخاصة وأنا أتعامل مع الوعى بكل مستويات ما قبل "الوعى بالوعى"، ثم أننى لم أستعمل مصطلح "الاهتمام" بالقدر الكافى، ولا للغرض المناسب أصلا.

تُنشَطُ دوريا بانتظام  
من خلال الإيقاع  
الحيوى طول الوقت

وصلنى من ثقافتى وكدى مع مولانا النفري ومرضى، ومن رحلة نقدى لأعمال إبداعية لها ارتباط وثيق بثقافتنا التى تسمح بامتداد مفهومى النبضى والهارمونى إلى ما ليس له عقل، وأيضا مما لاح لى من ثراء الإدراك المتجاوز الذى تسمح لنا ثقافتنا أن نواصل به رحلات تعارفنا كدحا إلى الغيب وما بعده، ومن بعده.

قدرتنا على مناقشة  
ما فى عقولنا مع  
بعضنا: مسألة ظرفية  
مثل الطابحة

غياب اللغة: قصور فى  
معرفتنا وليس فى عقولنا

معظم الأنشطة  
التلقائية هى لحفظ  
واستمرار الحياة، ولا  
تحتاج للوعى

أما ما انتهت به هذه الشريحة فأنا أوافق عليه تماما مع التحفظ بأن هذه الأنشطة التلقائية لابد من الإشارة إلى علاقتها بالبرامج التطورية وأن عدم احتياجها للوعي هو مقصود به عدم احتياجها للتخطيط والوعي الظاهر، وليس للقصدية والوعي الفاعل. (وربما ينطبق عليها نفس التحفظ الذي جاء في الهامش رقم "5").

7

#### ما الذى يميز العقل البشرى؟

- ذكر المؤلف أن : "العقول هي الأرض المجهولة النهاية التي تتجاوز ما يمكن لأي علم أن يصل إليه"، وفي حالة العقول التي بلا لغة فإنها "تتجاوز أي حوار يتصف بالتقصص العاطفي"
- نحن نقيس ما هو عقل بما نعرفه أو يشاع عن عقولنا نحن (كل واحد على حدة)
- أن يكون عندك عقل = أن تستطيع أن تبدل اهتماما !

(7) هذا التحذير من قياس كل ما هو عقل بما نعرفه عن عقولنا، أو ما نشيعه عنها، وخاصة مع التركيز على التفكير (المنطقي وحل المشاكل) على حساب الإدراك والعقل الوجداني الاعتمالي، هو تحذير جيد لكنه يتناقض قليلا مع سابق احتفاء "دينيت" بالتفكير والوعي.

ثم إن الربط بين العقول واللغة هنا هو ربط جيد، يعيد للغة مكانها مهما بدت معطلة أو سببا في الاغتراب في كثير من الأحيان.

ثم إن هذا الربط بين أن يكون عندك عقل وأن تستطيع أن تبدل اهتماما قد وصلنى أنه ربط جيد مع غموض المقصود بـ"أن تبدل اهتماما" لكن ربما له علاقة بغائية التوجه بصفة عامة.

#### وبعد

أتوقف اليوم هنا لننتقل غدًا معا إلى علاقة كل ذلك بالنمو الشخصي وإلى أى مدى هو مرتبط بإرادة الفرد أم بإرادة المحيط أم ببرامج التطور؟

وما هي مظاهر تعثر فتوقف النمو الفردي وبالذات في صورة اضطرابات الشخصية؟

هذه الأنشطة التلقائية لابد من الإشارة إلى علاقتها بالبرامج التطورية وأن عدم احتياجها للوعي هو مقصود به عدم احتياجها للتخطيط والوعي الظاهر، وليس للقصدية والوعي الفاعل

#### العقول هي الأرض

المجهولة النهاية

التي تتجاوز ما

يمكن لأي علم أن

يصل إليه، وفي حالة

العقول التي بلا لغة

فإنها تتجاوز أي

حوار يتصف

بالتقصص العاطفي

نحن نقيس ما هو عقل بما

نعرفه أو يشاع عن عقولنا

نحن ( كل واحد على حدة)

أن يكون عندك

عقل = أن تستطيع

أن تبدل اهتماما

[1] - أنا آسف، لكن هذا هو ما فرضته طبيعة هذا العمل، وما أتاحت لي الكتابة الأسبوعية بهذا الانتظام الذى أمل أن يعاد النظر فيه عند النشر الورقى، علما بأن العمل اسمه "الأساس فى الطب النفسى" إن كان أحد يذكر!!!

[2] - وهو التعريف المعجمى لكلمة "المرض".

[3] - وأكتفى هنا بالإشارة إلى بعض النشرات التى وردت فيها إشارة إلى هذا الكتاب،

[4] - ويمكن لمن شاء أن يرجع إلى الندوة مجتمعة فهى بالموقع.

[5] - بصراحة، أنا آسف، فأنا لا أذكر - إن كانت هذه الشريحة - كما عرضت فى الندوة هي من نص الكتاب أم أنها كانت ضمن نقدي له، ولم يكن عندي الوقت الآن للرجوع إلى ذلك وسوف أفعل، وأصح ما يلزم تصحيحه.